

أضواء البيان

. @ 199

وعلى كل ، فإن قضية القدر من أخطر القضايا وأغمضها ، كما قال علي رضي الله عنه : القدر سرٌّ الله في خلقه . .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا ذُكر القضاء فأمسكوا) ، ولكن على المسلم النظر فيما أنزل الله من وحي وبعث من رسل . .

وأهم ما في الأمر هو جري الأمور على مشيئة الله وقد جاء موقف عملي في قصة بدر ، يوضح حقيقة القدر ويظهر غاية العبر في قوله تعالى : { إِذْ يُرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشَلْتُمْ وَلَتَذَنَّبَ أَنتُمْ فِي الْأَمْرِ مَرًّا وَلَا كُنَّ اللَّهُ سَلَامَ إِيَّاهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } . . فهو تعالى الذي سلم من موجبات التنازع والفشل بمقتضى علمه بذات الصدور . . ثم قال : { وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيَّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } ، فقد أجرى الأسباب على مقتضى إرادته فقلل كلاً من الفريقين في أعين الآخر ليقتضي أمراً كان في سابق علمه مفعولاً ، ثم بين المنتهى ، { وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } ، والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { ذَالِكِ بَأْسُهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُودُؤُنَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } . فيه استنكار الكفار أن يكون من يهديهم بشراً لا ملكاً ، كما قال تعالى : { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } ، وقوله تعالى : { أَبَشِّرْهُم بِأَحَدًا نَسْتَبْعِثُهُ } . .

قال الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه ، في مذكرة الدراسة : فشبهتهم هذه الباطلة ردها الله في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا } ، وقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا } أي لا ملائكة وقوله { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا نَذِيرًا لَهُمْ لِيَأْتِ الْكُلُوبُ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ } . .

قوله تعالى : { فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ }

حَمِيدٌ { تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه الكلام عليه عند قوله تعالى :
وَلِلَّهِ الْعَلَى